

جهود النخب الجزائرية في إحياء التعليم العربي الإسلامي 1830-1930م

- ابن رحال والأمير خالد أنموذجا

The Efforts of Algerian Elites in Reviving Arab-Islamic Education (1830–1930): "Ibn Rahal and Emir Khaled as a Model"

عبد الرحمان بن بوزيان^{*1}

¹ جامعة تلمسان - أبو بكر بلقايد (الجزائر)

abderrahmane.benbouziane@univ-tlemcen.dz

<https://orcid.org/0009-0001-3981-0540>

تاريخ الاستلام: 2025-07-20 تاريخ القبول: 2026-04-23 تاريخ النشر: 2026-05-19

ملخص: تحاول هذه الدراسة تتبع جهود بعض النخب الجزائرية في إحياء التعليم العربي الإسلامي ما بين 1830 و 1930م، وأخص بالذكر شخصيتين سياسيتين هما ابن رحال والأمير خالد، أين انحصر جهدهما في وصف الحالة التعليمية المتدهورة من جهة، والبحث عن أسباب تأخر الأمة في هذا المجال الحيوي، بالإضافة إلى تحريض وتحريك الأمة لتتحد في عملها لإنقاذ الأجيال الصاعدة من الجهل والضياع، كما اهتمتا بتوجيه نقد للأساليب التعليم العتيق التي كانت آنذاك متبعة في بعض الكتاتيب والزوايا والمساجد، ومن جهة أخرى قدما بدائل للتعليم العمومي الفرنسي عن طريق الدعوة إلى تأسيس المدارس الحرة، والحث على طلب العلم في المعاهد العربية الإسلامية، إضافة إلى ضرورة الوقوف والتصدي للغزو الفكري الغربي الذي كان ينخر جسد الأمة الإسلامية، من خلال رفع مستوى الثقافة العربية الإسلامية بين الأهالي الجزائريين باعتبارها السبيل الوحيد نحو الخلاص من القيود والأغلال التي وضعها الاستعمار.

كلمات مفتاحية: الاستعمار الفرنسي؛ الجزائر؛ التعليم العربي الإسلامي؛ ابن رحال؛ الأمير خالد.

Abstract : This study attempts to trace the efforts of certain Algerian elites to revive Arab-Islamic education between 1830 and 1930, with particular focus on two political figures: Ibn Rahal and Emir Khaled. Their efforts centered on describing the deteriorating educational situation, identifying the reasons behind the nation's lag in this vital field, and mobilizing and encouraging the people to unite in their efforts to save the younger generations from ignorance and loss. They also criticized the traditional educational methods that were then followed in some kuttabs, zawiyas, and mosques. On the other hand, they proposed alternatives to the French public education system by advocating for the establishment of free schools and encouraging the pursuit of knowledge in Arab-Islamic institutes. Furthermore, they emphasized the necessity of resisting the Western intellectual invasion that was eroding the body of the Islamic nation, by raising the level of Arab-Islamic culture among Algerians—viewing it as the only path toward liberation from the shackles and restraints imposed by colonialism.

Keywords: French colonialism; Algeria; Arab-Islamic education; Ibn Rahal; Emir Khaled.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

تشير عديد المصادر المحلية والأجنبية إلى تطور التعليم والثقافة بالجزائر خلال العصر الحديث، كما تجمع على الانتشار الواسع لمراكز الثقافة العربية الإسلامية كالمدارس والكتاتيب والزوايا والمساجد والمعاهد الإسلامية، وفي نفس الاتجاه ذهبت التقارير والدراسات السرية التي قدمت من قبل العسكريين الفرنسيين عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830.

شكل التعليم العربي الإسلامي في الجزائر أحد الأعمدة الأساسية التي ارتكز عليها المجتمع الجزائري للحفاظ على هويته الدينية والثقافية في مواجهة الاستعمار الفرنسي الذي بدأ سنة 1830م. منذ الأيام الأولى للاحتلال، أدركت سلطات الاستعمار أن محو اللغة العربية وإضعاف التعليم الإسلامي يمثلان خطوة محورية في إخضاع الشعب الجزائري وقطع صلته بمقوماته الحضارية. وفي المقابل، لم تقف النخب الجزائرية مكتوفة الأيدي، بل سارعت إلى التصدي لهذه السياسات عبر بعث وإحياء التعليم العربي الإسلامي بمبادرات فردية وجماعية، تميزت بروح المقاومة الثقافية والدينية.

تركز هذه الدراسة على استعراض أبرز الجهود التي بذلتها تلك النخب، من علماء، مفكرين، وأعيان، في الدفاع عن التعليم العربي الإسلامي وتطويره، خلال الفترة التي سبقت تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م. فقد شهدت هذه المرحلة محاولات جادة لإعادة إحياء التعليم خارج سيطرة الإدارة الاستعمارية، من خلال إنشاء المدارس الحرة، وإعادة الاعتبار للكتاتيب والزوايا، وتنشيط الحركة الفكرية العربية الإسلامية. كما تسلط الدراسة الضوء على الرؤية الإصلاحية التي تبنتها تلك النخب في سبيل تجديد أساليب التعليم وجعله أكثر ملاءمة لتحديات المرحلة.

رغم الأهمية البالغة لموضوع التعليم العربي الإسلامي في ظل الاحتلال الفرنسي، إلا أن الدراسات السابقة التي تناولت جهود النخب الجزائرية في هذا المجال قبل سنة 1931 تبقى محدودة من حيث العمق والتركيز. فقد ركزت أغلب الأعمال الأكاديمية على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وما بعد تأسيسها، مع إغفال أو تهميش المرحلة التمهيدية التي مهدت لظهور الجمعية، هذه المرحلة عرفت بروز مجموعة من النواب المنتخبين حملوا على عاتقهم مهمة إحياء التعليم العربي الحر.

كما أن بعض الدراسات التي تناولت التعليم في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، تعاملت مع الموضوع من منظور وصفي أو عام، دون الغوص في التفاصيل الدقيقة لدور النخب المحلية، مثل الشخصيات السياسية والدينية، الذين لعبوا أدواراً محورية في الحفاظ على الهوية التعليمية والدينية.

بناء على المعطيات السابقة تمت صياغة الإشكالية الآتية: إلى أي مدى نجح كل من ابن رحال والأمير خالد في بعث وإحياء التعليم العربي الإسلامي بالجزائر خلال الفترة ما بين 1830-1930م، وما هي الوسائل والأساليب التي اعتمد عليها كل واحد في مواجهة المشروع الاستعماري الفرنسي التعليمي؟

إن استقرار هذه الجهود يتيح لنا تقييم دور التعليم في بناء الوعي الوطني ومقاومة الاستعمار ثقافياً وفكرياً، وعليه نطرح الإشكالية الآتية: كيف ساهم الوعي المبكر لدى محمد بن رحال والأمير خالد في إبراز أهمية التعليم العربي الإسلامي كوسيلة لمقاومة الاستعمار والحفاظ على الهوية الوطنية والدينية.

1.. واقع تعليم الجزائريين عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر:

لم تكن الأمية سائدة في الأوساط الجزائرية قبل مصيبة الاحتلال سنة 1830، فكانت الكتابات التي قاربت 3 آلاف ومعها المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها التنشئة العربية الدينية الصالحة، (المدني، 1956، صفحة 139) ومن أكبر المؤسسات التي كانت تغذي هذه المؤسسات التعليمية الثقافية هي الأوقاف-حبوس-، التي كان يدخل تحت مهامها توفير العناية بالمساجد والمدارس والمعاهد والزوايا، وإلى جانب هذه المؤسسات الثقافية التي تكفلت بقضية تعليم المجتمع وثقافته، يدين هذا التعليم زيادة على ذلك لجهود الأفراد والعائلات، لأن بعض العثمانيين كأشخاص وجزائريين ساهموا على السواء في تأسيس المدارس والاعتناء بها، وكان هؤلاء يهتمون ببناء المدارس والمساجد بدوافع دينية ولخدمة العلم ولتخليد أسمائهم أحياناً أخرى. (حلوش، السياسة التعليمية في الجزائر 1871-1914، 1975، صفحة 02)

أدت عديد المؤسسات التعليمية والثقافية وظيفتها في نشر التعليم بجميع أنواعه، فالمعاهد العليا مثل مازونة وبطيوة ومعسكر، والجامع الكبير بتلمسان وجامع سيدي لعربي وزاوية الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، وزاوية القليعة ومليانة وبني محي الدين وزاوية بني سليمان والجامع الأعظم بالجزائر العاصمة، (Emerit, 1954, p. 204) وعلى سبيل المثال كان المسجد الكبير بتلمسان الذي رغم بساطته، كان يعتبر جامعة إسلامية كبرى شارك في نهضة هذا البلد أيام عزه، منذ عهد المرابطين والموحدين، وبني زيان، والأتراك العثمانيين، وقاوم الفرنسية، والتمسيح والإدماج، أيام الاحتلال الفرنسي، وكون أجيالاً من العلماء والفقهاء، والقضاة، والمفتين، والأئمة، والمحدثين والمؤرخين، والوعاظ والخطباء والادباء. (بوعزيز، 2002، صفحة 113)

تؤكد الكتابات التاريخية حول تاريخ الجزائر الثقافي خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي على ازدهار الحياة العلمية والثقافية بها، وبالخصوص التعليم الابتدائي، فالمساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا كانت منتشرة في ربوع القطر الجزائري، (جمال قنان، 2000، الصفحات 12-15)

أشاد العديد من الكتاب الفرنسيين بازدهار الحياة الثقافية والعلمية بالجزائر عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، فهذا هو دوماس Dumas مدير شؤون الجزائر 1850 يقول: "أن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشاراً في الجزائر مما نعتقد عموماً، وقد أظهرت علاقتنا مع أهالي المقاطعات الثلاث أن متوسط عدد الأشخاص من جنس الذكور الذين يعرفون القراءة والكتابة يساوي على الأقل المتوسط الذي أعطته الإحصائيات عن أريافنا... فهناك حوالي 40% من دون شك، لكن إن لم يكن جميع الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة، فإنهم قد ذهبوا جميعاً إلى المدرسة، وكانوا يستطيعون استظهار الأدعية وبعض آيات القرآن، لقد كان لجميع القبائل والأحياء الحضرية معلم مدرسة قبل الاحتلال الفرنسي، ويقدر دوماس بحوالي 2000 أو 3000 في كل مقاطعة

عدد الشباب الذين يزاولون في المدارس القرآنية الدروس المتوسطة، وبحوالي 600 أو 800 عدد أولئك الذين يتمكنون من دراسة علوم القانون وعلوم الدين. (Rinn, 1882, p. 10)

تشير أحد التقارير الصادرة عن الفرنسيين سنة 1839 أي قبل الاحتلال الثاني لتلمسان 1842، يقول أن بها عددا كبيرا من المساجد، (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، صفحة 106) وقد أكد على ذلك أيضا أبو حامد المشرفي الذي زار تلمسان بعد احتلالها، (Pérès, 1935, pp. 259-270) إذ يقول: "إن بها نحو ثلاثين مسجدا غير الجامع الكبير"، (المشرفي، د.ت، الصفحات 70-82)

عرفت تلمسان أواخر العهد العثماني ازدهارا علميا وثقافيا، بخصوص الوضع التعليمي بكامل مقاطعة تلمسان Subdivision de Tlemcen يذكر لاموريسيير La Morcière في تقرير له أنه في المدينة التي تحتوي على 12-14 ألف نسمة، 3 ثانويات و50 مدرسة، وفي المقاطعة كان هناك لحوالي 125000 نسمة، 30 زاوية مشهورة، أهمها زاوية سيدي بومدين، والتي كانت تضم 25 تلميذ فقط عام 1952، وهو عدد قليل جدا، حيث كان التعليم للجميع وفي كل دوار هناك مدرسة، ولكل مدرسة مكتبة خاصة، وحتى طلبة العلم صارت وجهتهم إلى المغرب الأقصى، وخاصة إلى فاس حيث استقر العديد منهم هناك، (تيران، 2007، الصفحات 139-140)

إن التطور الذي كانت عليه الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي في ميدان العلم والثقافة لا يحتاج منا إلى الخوض في محاولات تأكيد وإثباته بلسان الكتاب الأوروبيين أو الأجانب بقدر ما يقودنا إلى البحث عن الأثر الفكري والمادي الذي سينعكس على مستقبل الجزائريين لاحقا في ظل استعمار همجي مدمر، هذه المرحلة لو تم استغلال وتطوير العلم والثقافة فيها لانعكس ذلك حاليا على مختلف الأجيال اللاحقة،

2.. السياسة التعليمية الفرنسية تجاه مؤسسات التعليم العربي الحرحلال مرحلة الاحتلال:

لم يهتم الفرنسيون في بادئ احتلالهم للجزائر بالثقافة والتعليم، لأنهم كانوا منشغلين أكثر بالغزو والسلب والنهب، لذلك نميز خلال العقد الأول للاحتلال غياب تام لسياسة تعليمية خاصة بالجزائريين لأنه أساسا كان مهملًا، وقد صرح الضابط لويس رين في شأن ذلك قائلا: "إننا أهملنا التعليم في الجزائر نظرا لانشغالنا بغرض الاحتلال عن طريق الحرب، بل حتى المؤسسات الدينية التعليمية التي كانت موجودة حولناها عن أهدافها، وذلك بمصادرة الأوقاف وضمها لأملاك الدولة، فكانت النتيجة الخراب الكامل للتعليم بعد أن هجره المدرسون إلى خارج الجزائر..". (Rinn, 1882, p. 11)

اعتمدت فرنسا في الجزائر على سياسة تعليمية غير واضحة، ما أدى إلى اختلاف المواقف والآراء حول مسألة تعليم الجزائريين، ونميز فريقين، الفريق الأول كان يرى في المدرسة الفرنسية وسيلة لكسب الجزائريين وإبعادهم عن الزوايا والكتاتيب التي كانت تلقنهم دروس الجهاد والدفاع عن الوطن، وقد تبني هذا الطرح الدوق دومال بعد إفشال مقاومة الأمير حيث صرح قائلا: "...أن بناء المدرسة هو أفضل وأحسن من توفير فيلق عسكري لإقرار الأمن". (حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، 2010، صفحة 159)

عملت الإدارة الفرنسية خلال نصف القرن الأول من الاحتلال على تبني سياسة التعليم المزدوج عربي- فرنسي قصد إدماج الشعب الجزائري في الثقافة الفرنسية وسلخه من شخصيته العربية الإسلامية، وبذلك فتحت أول مدرسة عام 1833 وسميت بمدارس التعليم المتبادل l'enseignement mutuel لتعليم الأطفال الأوربيين واليهود، وبعدها باشرت الإدارة نفسها في تطبيق سياسة التعليم العمومي على أن يتعلم الأطفال المواد الأولية من اللغة الفرنسية والكتابة والحساب كما في فرنسا بالإضافة إلى اللغة العربية، وفي سنة 1836 وبالعاصمة تم فتح أول مدرسة خصصت لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية، وهي المدرسة المسماة بالمدرسة العربية - الفرنسية Ecole Arabe Francaise، وهي خاصة بالذكور دون سواهم، وفي سنة 1837م تم فتح مدرسة أخرى في عنابة، وذلك لمواجهة التعليم العربي الإسلامي بالكتاتيب والزوايا، ورغبة من الفرنسيين تكسب تعاطف الجزائريين، كما تأسست بالجزائر العاصمة أول مدرسة للفتيات عام 1845م. (Mourlan, 1907, p. 271)

عموماً فالحكومة الفرنسية الاستعمارية تجاهلت في أول أمرها قضية التعليم، ولم تكن مشغولة إلا بإفناء العنصر الجزائري، وتحطيم قواه وإخماد ثوراته، فما كاد ينتهي ذلك الدور حتى كانت البلاد قد فرغت من العلم بصفة تكاد تكون مطلقة، وأصبح الناس يتعلمون سرا في ديارهم كأنهم ارتكبوا جرائم خطيرة. (المدني، 1956، صفحة 140)

أخذت الحكومة الاستعمارية منذ سنة 1883 تفتح أبواب المدارس شيئاً فشيئاً أمام أبناء الجزائريين، لكن التعليم كان ولا يزال فرنسياً بحثاً، لا عربياً ولا جزائرياً، فاللغة الفرنسية فيه هي لغة الوطن، وبلاد فرنسا فيه هي الوطن، وتاريخ فرنسا فيه هو تاريخ الوطن، وعن غاية هذا التعليم الفرنسي يتحدث توفيق المدني فيقول: "بل كان المقصد منها حسب اعترافات كبار رجال السياسة والأساتذة، تقريب الجزائريين من فرنسا بواسطة تعليمهم لغة الدولة المحتلة، وآدابها وعلومها، حتى يسهل ابتلاعهم، ويسهل إدماجهم..". (المدني، 1956، صفحة 141)

كان حظ الجزائريين من التعليم الثانوي شبه منعدم، ويقول فرحات عباس عن ذلك: "...إن الدراسة الثانوية التي هي قاعدة التعليم العالي، لا يمكن الدخول إليها إلا لأبناء عدد قليل من الأغنياء أو لمن حصلوا على منحة من الحكومة العامة، في حين أنه لا يوجد لدى هؤلاء الممنوحين، للذين هم في أغلبهم أبناء "قياد"، أي مثل أسى يسعون إليه إلا أن يصبحوا بدورهم "قياد"، فهم بالآخرى لا يستغلون المزايا التي منحت لهم، أو يستغلونها بشكل سيء..". (عباس، 2007، الصفحات 67-68) ويضيف في ذات الصدد بأنه من بين: "50 طالبا أهليا كانت جامعة الجزائر تضمهم من بين ألف طالب، في المقابل هناك 6 ملايين من الاهالي أميين، (عباس، 2007، صفحة 66)

حاربت فرنسا اللغة العربية بكل الوسائل، واعتبرت وجودها خطراً على تعليم الفرنسية، لذلك كان حظ اللغة العربية من التعليم شحيحاً، حيث يقول فرحات عباس: "لقد دعينا إلى تحصيل معارف في لغة ليست لغة طفولتنا، ومن الطبيعي أن تقابلنا صعوبات لم يكن رفاقنا الفرنسيون يلقونها، ...كان التلميذ يتحدث لغته

خارج فصله، ويتحدث بها في ساحة المدرسة، وفي الشارع، ومع عائلته...وفي الكلية كان من بين الخمسين طالبا مسلما ستة رفاق حصلوا على شهادة الدروس العليا في الرياضيات العامة، وفي الفيزياء العامة، وفي حسب التكامل والتفاضل والفلك، ويوجد هؤلاء الطلبة اليوم في باريس لإعداد شهادة التبريز، غير اننا لم نكن إلا خمسين طالبا، فلو ان الاستعمار أراد لكنا خمسة آلاف.." (عباس، 2007، صفحة 67)

إن تعليم الجزائريين لغتهم العربية وتعميمها على المجتمع سيقوض المشروع الاستعماري برمته، وقد أشار الحاكم العام تيرمان سنة 1896 إلى خطورة تعليم الجزائريين في المدارس الفرنسية، حيث صرح قائلاً: "...لا يزال يتضح لنا من الاختبار أن اللذين نعلمهم التعليم الراقى هم اللذين يبدوون لنا الكثير من العداوة". (تركي، 1975، صفحة 145)

استعملت فرنسا لمحاربة اللغة العربية ترسانة من المراسيم والقوانين، وكان الهدف من هذه الحرب التي شنها الاحتلال الفرنسي "على اللغة العربية طوال قرن وثلث، وهو القضاء عليها تمهيدا للقضاء على الثقافة العربية الإسلامية، وبالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية، (تركي، 1975، صفحة 382) ولم يخفي ذلك رواد المدرسة الاستعمارية الفرنسية، فها هو المستشرق جاك بيرك الذي كان مسؤولاً على تسيير مديرية الشؤون الأهلية التي تتكفل بقضايا شؤون المسلمين، الذي عبر عن حقيقة السياسة الفرنسية في الجزائر في تعاملها مع رجال الدين الجزائريين بقوله: "لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة اننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي، أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا ما أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصاً منقطع النظير" (La Revue Indigène, p. 405)

مهما يكن الأمر فالإدارة الفرنسية قد انطلقت في هذه المهمة التي فرضت نفسها في الواقع-لسببين اثنين: من جهة كانت الدولة بحاجة إلى أعداد كبيرة من الموظفين من الأهالي، من أجل التمكن من تسيير أمور هذه لكتل الكبيرة من الجماهير التي لا تعي أوروبا جيداً عقليتها، ومن الجهة الأخرى، فمهمة فرنسا الأولية مهمة حضارية، ولا يوجد تمدن وتكوين، أي دون تعليم، تعليم الغالب للمغلوب. (حبيلس، 2009، صفحة 31)

3.. نتائج وآثار السياسة التعليمية الفرنسية:

شهدت الجزائر منذ فرض الاحتلال الفرنسي لها واقعاً تعليمياً واجتماعياً مأساوياً، نتيجة السياسات الاستعمارية الفرنسية التي هدفت إلى طمس الهوية الإسلامية والعربية للشعب الجزائري، وذلك بخلق مؤسسات تعليمية أوروبية تمهيدا لعملية الإدماج والفرنسة، والهدف الرئيسي منها كان واضحاً، ليس لغرض تكوين موظفين خاصين أو إعداد معلمين للتعليم العمومي في كلتا اللغتين وإنما الهدف الحقيقي كما صرح به فيلمان-Fellman "رئيس مكتب الشؤون السياسية في باريس عام 1846- حيث يقول: "إن الداعي لكل هذه الجهود هو إعداد رجال يساعدوننا من خلال نشاطهم مع المواطنين من بني جلدتهم على تغيير المجتمع العربي وفق لمتطلبات حضارتنا". (تيران، 2007، صفحة 80)

تشير الاحصائيات إلى فوارق كبيرة بين تعليم الفرنسيين والجزائريين، فحتى سنة 1901 لم تتجاوز نسبة المتعلمين من الأهالي الجزائريين 3.8%، في مقابل 84% بين الأوروبيين، وهو فارق شاسع يعكس مدى التهميش

المتعمد للتعليم في أوساط الجزائريين. وقد وصف محمد فريد، الذي زار الجزائر في ذلك العام، هذه الحالة بقوله: "إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جداً، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات"، وأضاف: "هجرت ربوع العلم وخُربت دور الكتب وصارت الديار مرتعاً للجهل والجهلاء"، وعن حال اللغة العربية قال: "أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران، وقسنطينة، وعنابة وغيرها." (الجندي، 1901)

هذا الواقع الكارثي لم يكن صدفة، بل نتيجة سياسة استعمارية ممنهجة عبر عنها بوضوح الفيلسوف الفرنسي أليكسيس دي توكفيل Alexis de Tocqueville-عضو لجنة التحقيق الفرنسية سنة 1847- حيث قال: "لقد وضعنا أيدينا على هذه المداخل -الأوقاف-، وأهملنا المدارس والتعليم، وفَرَقْنَا الطلبة وشيوخ الزوايا، لقد أطفأنا الأنوار من حولنا... لقد جعلنا المجتمع المسلم أكثر جهلاً وأمياً، وأكثر بربرية مما كان عليه من قبل." (Tocqueville, 1864, p. 323)

عبرت الباحثة إيفون تيران عن نتائج وثار السياسة التعليمية الفرنسية بقولها: "لقد أهملت جميع المدارس الابتدائية تقريباً، وحلّت الكارثة بالمدارس والزوايا القريبة من مراكز الاحتلال، وهاجر الأساتذة إلى أطراف البلاد التي لم تكن بعد تحت سيطرة الاستعمار، كما تمت مصادرة أملاك الحبوس في باقي الأرجاء." (تيران، 2007، صفحة 80)

لم يقتصر الأمر على الفرنسيين تدمير البنية التعليمية للجزائريين، بل تعداه إلى تشويه الدين ذاته، فقد اصطنعت فرنسا في الجزائر "إسلاماً خاصاً بها"، كما جاء في أحد التصريحات الاستعمارية: "اصطنعنا إسلاماً فريداً في العالم، بدون أوقاف، وبمساجد إدارية، وأهل دين ورعين، وقضاة موظفين، وحجّ برخصة... لا يمكن الرجوع إلى الوراء لأسلمة الجزائر من جديد، إن الإساءة قد وقعت." (تيران، 2007، صفحة 135)

لم تسلم المساجد من انعكاسات السياسة التعليمية الفرنسية، حيث وصف الحافظ الأزهري الحالة المزرية التي آلت إليها مساجد العاصمة بعد أن أصبح أمرها بيد أولئك المشايخ المزعومين الذين لا يهمهم من مناصبهم غير المرتب الشهري، فكانوا سبباً مباشراً في خلو المساجد من عمارها، بعد أن كانت مراكز لا للصلاة فقط، ولكن للتعليم اللغة العربية والدين ومنابر للوعظ والإرشاد، وقد وقف هؤلاء الموظفون الرسميون كحجرة عثرة أما من يريد الحصول على الرخصة لنشر الدين واللغة العربية بتلك المساجد، حيث ذكر صاحب المقال "وإذا حاول هذا المتطوع استخراج الرخصة وجد أولئك الكرام سدوا في وجهه سائر الأبواب تحت طي الخفاء، فلا يحصل من أراد أن يعمل داخل هذه المساجد، أخيراً على طائل، لأن أربابها تواطؤوا على منعه سرا وجهرًا..". (الأزهري، 1930، صفحة 01)

ظهرت عديد الأقلام عبر الصحافة تدعوا إلى إعادة بعث وإحياء رسالة المسجد، فهي هو الكاتب في جريدة البلاغ يقول: "...في حال أن واجبهـم-المدرسين- بصفتهم أفراد الأمة وخاصة أعضائها-جمعية- أن ينظروا قبل كل شيء لترميم صرح التدريس في المساجد الذي هو الآن على وشك السقوط-لا قدر الله- وماذا يضرهم لو أنهم

وجهوا همهم الشفاء لتكوين دروس متعددة وحلق كثيرة بالمسجد الواحد، وعظية، وعلمية، وإرشادية، كما هو شأن بقية مدن الإسلام." (التدريس بمساجدنا وشأن المدرسين، 1929، صفحة 01)

لقد قدم لنا محمد ناصر نقدا للأساليب والمناهج التعليمية المتبعة في المؤسسات التعليمية خلال المرحلة الممتدة ما بين 1920-1931م سواء ذلك في مدارس الحكومة الفرنسية التي تُخرج طلبة منحرفي الاخلاق متجردين من القومية والدين، أو الزوايا الطرقية التي تنشئ جيلا كسولا، خامل الحركة، بليد الإحساس، أو الكتاتيب القرآنية التي يقتصر التعليم فيها عادة على حفظ القرآن وحده حفظا ببغاويا ليس من ورائه كبير طائل لأن هذا الحفظ لا يصحبه الفهم الصحيح أو الدراسة اللغوية السليمة. (ناصر، 1978، صفحة 27)

4.. النخب الجزائرية ومسألة التعليم العربي الإسلامي:

يعتبر موضوع التعليم من أهم الموضوعات التي شغلت بال الأهالي الجزائريين، فمنذ سيطرة الإدارة الاستعمارية على منابعه عبر الأهالي عن مواقفهم ومطالبهم من خلال العديد من العرائض والوفود التي أرسلوها إلى فرنسا معبرين في ذلك تمسكهم وتشبثهم بشخصيتهم وثقافتهم العربية الإسلامية، لذلك لا يخفى أن يكون موضوع التعليم أحد أهم المواضيع التي تبنتها النخب المثقفة وعبرت عليها أقلام الكتاب منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر على صفحات جريدة المبعثر، وهي فترة جد مبكرة بالنسبة للصحافة العربية في الجزائر. (ناصر، 1978، صفحة 12)

بالرغم من جهود الجزائريين في إعادة فتح الكتاتيب لتعليم الصغار إلا أنها عانت من نقص المعلمين والمدرسين الذين انقرض قسم منهم بفعل الحرب والفوضى، وهجرة بعضهم نحو الخارج، ولذلك فقد احتفظت المناطق النائية بالبعض الآخر، غير أنهم كانوا قلة، وعلى الرغم من ذلك فقد تخوفت الإدارة من عودة انتشار التعليم الوطني. (الخطيب، 1985، صفحة 62)

ثمة آفة أخرى أصابت التعليم في الجزائر لطالما ندد أبو اليقظان بها وحذر من سوء مغبتها، وهو ما اعتاد عليه الآباء من قطع أبنائهم عن مدارسهم قبل إكمال التعليم، وقد شبه أبو اليقظان هذه العلة التي أنهكت الناشئة فنشأت ضعيفة، بمن حرث صابة زرع وضعى لأجلها بكل ما لديه من جهود حتى إذا قرب إدراكها قطع عنها الماء وتركها للعطش المحرق يصوحها فلا هو أدرك الثمرة ناضجة، ولا هو أراح نفسه من الاتعاب والمجهودات من أول الأمر. (اليقظان، 1928)

لقد أخدم الاحتلال الفرنسي جذوة العلوم والمعارف تحت أنقاض المساجد، والكتاتيب، والزوايا التي دمرها فلم تبق منها سوى جمرات ضئيلة في بعض الكتاتيب، فحافظت على لغة القرآن ومبادئ الدين الحنيف في تعليم بسيط وأساليب بدائية، غير أن عواصف الحرب العالمية الأولى الشديدة نفخت روح الحياة في تلك الجمارات، فبعثتها متأججة من جديد، وآب حملة المشاعل من جامع القرويين وجامع الزيتونة وجامع الأزهر، يحملون معهم وينيرون طريق النهوض واليقظة أمام الأمة المحرومة. (ناصر، 1978، صفحة 10)

ساهمت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية وسياسة التمييز العنصري في سد أبواب الوظائف في وجه المسلمين، واشترطت الجنسية الفرنسية، كل ذلك كان حائلا بين المسلمين وبين مقاعد الجامعات، (المدني، 1956، صفحة 144) وفي هذا الصدد كتب رئيس تحرير جريدة "النجاح" مامي إسماعيل حول تعيين المشايخ المزعومين الذين كانت تنصهم الإدارة الاستعمارية في الوظائف الدينية مقالا تهكميا لادعا، (ناصر، 1978، صفحة 102) يقول فيه: "...إذ سمعنا بأن الجمعية الدينية بالجزائر عينت لمنصب الإفتاء أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولا يفهم ولا يعقل لا نتعجب أصلا، ونقدم لها وله بمجرد إعلان تسميته، فائق التهاني، راجين لها مزيد التقدم في العبث وإهانة الديانة، وله بالنفاق والتدجيل...، هل منصب الإفتاء والإمامة يجب أن تنحصر في البيوتات المعروفة بها ولو خلفت هذه البيوتات أخلافا جهالا؟

"وهل يتقدم للإفتاء المتدربون أي اللذين ابتدأوا يصلحون المساجد بالمكنسة، وارتقوا إلى حزاب إلى باش حزاب إلى راوي حديث إلى إمام، وهم لا يفقهون من العلم شيئا". (إسماعيل، 1929)

"..وهل إذا قدم إلينا علماء المشرق أو المغرب وطلبوا مقابلة العلامة المدقق، الدراكة المحقق، المتضلع الخبير، صاحب الفتاوى الصحيحة وشيخ الجماعة وقدمنا إليهم أنصيان-Anssien كلمة فرنسية بمعنى قديم- كناس فما جوابنا لهم بعد؟ (إسماعيل، 1929)

1.4..مسألة التعليم العربي الإسلامي عند ابن رحال:

أرسلت باريس لجنة برلمانية إلى الجزائر في سنة 1891 برئاسة جول فيري Jules Ferry للوقوف عند أوضاع الجزائريين، ورسم معالم سياسة جديدة تهدف إلى احتواء الجزائريين من خلال التشاور والتنسيق مع الحاكم العام جول كامبون Jules Cambon الذي عين حاكما عاما للجزائر ما بين 1891-1897. (Esquer, 1950, p. 90)

من غير المستبعد أن تكون اللجنة البرلمانية قد التقت ببعض عناصر النخبة الجزائرية، حيث تذكر المصادر التاريخية انه في سنة 1891 سافر على باريس وفد من أعيان الجزائريين بقيادة شخصيات متشعبة بالثقافة العربية الإسلامية ومطلعة على الثقافة الفرنسية منهم الدكتور محمد بن العربي، والشيخ محمد بن رحال، (Ageron, 1963, pp. 125-145) أين قدموا عريضة حملت مجموعة من المطالب سلمت للإدارة الفرنسية (مهديد، 2006، صفحة 35)، ومن بين المطالب الأساسية:

-تعميم التعليم لكافة الطبقات، وفتح الآفاق أمام التعليم العالي مع ضرورة الاعتناء باللغة العربية وأصول الفقه الإسلامي.

-المطالبة بالتراجع عن تطبيق قرار سبتمبر 1886 القاضي بإلغاء المحاكم الإسلامية واستبدالها بالمحاكم الفرنسية. (العقون، 1984، صفحة 88)

تجسدت جل هذه المطالب في اهتمامات الشيخ بن رحال ومنها مسألة تعليم الجزائريين التي جعل منها مطلبا أساسيا امام لجنة التحقيق البرلمانية التي زارت الجزائر، بعد أن أكد لها ضرورة إحياء وتنظيم المدارس

الإسلامية وتوسيع مؤسسات التعليم ومراقبتها من طرف الجزائريين مع ترقية الفئة المتعلمة اجتماعيا وسياسيا. (جغلول، 1982، صفحة 88)

خلص بن رحال بعد زيارة لجنة التحقيق البرلمانية إلى أن التعليم باللغة الفرنسية أصبح غير مفيد بالنسبة للجزائريين، لذلك كانت دعوته واسعة لتعليم تدريس اللغة العربية بين الجزائريين دون الانهيار بالثقافة الفرنسية، لذلك ركز بن رحال في مطالبه على الأصالة والتجديد لتحضير الجزائريين، (Djaghloul, 1977, p. 47)، وقد نشر في هذا الشأن دراسة عام 1887 بعنوان "دراسة عن تطبيق التعليم العمومي في البلد العربي"، والتي جاءت عقب صدور مرسوم 23 فبراير 1883 حول تعميم التعليم لصالح الجزائريين، إذ يقترح في هذه المحاولة السبل والوسائل المتاحة لإحلال سياسة تعليمية صحيحة لناشئة المجتمع الجزائري، وطالب أيضا بإنشاء جامعة إسلامية في الجزائر مثل الأزهر في القاهرة والزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب الأقصى، (Djaghloul, 1977, p. 79) وأمام ذلك فقد كان نشاطه مقلقا بالنسبة للإدارة الاستعمارية وأبناء المعمرين، وقد أشار إلى ذلك الشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقوله: "ويا للفرح والهول الذي يلحق الفرنسيين حينما كان يقف بن رحال يخطب في المحافل السياسية أو يكتب في الصحف والمجلات الدورية ويأتي بحججه القاطعة في نصرة الاسلام والعروبة والوطن"، (الجيلالي، 1980، صفحة 466)

يعتبر التعليم أكثر الميادين التي خاضها واشتهر بها ابن رحال، فقد دافع عن التعليم التقليدي الديني، وبذلك فهو قد سبق حركة الشبان الجزائريين ورجال الإصلاح أمثال ابن باديس، (الواعر، 2002-2003، صفحة 2012) وخلال الزيارة التي قامت بها لجنة مجلس الشيوخ إلى الجزائر ما بين 19 أبريل إلى 5 جوان 1892، قدم ابن رحال مذكرته أمام هذه اللجنة التي ترأسها جول فيري، حيث أوصى ابن رحال فيها بتنظيم المدارس الإسلامية الفرنسية من جهة، وإصلاح المدارس الإسلامية العليا الموجودة على مستوى كل من تلمسان وقسنطينة والعاصمة، كزيادة عدد الطلبة وعدد الأساتذة وتوظيف العلماء الأكثر شهرة دون شروط، وقد ساهمت مشاركته في مؤتمر المستشرقين عام 1897 في إبراز مبادئ الحضارة الإسلامية، موجها نقدا لادعا للسياسة الاستعمارية التي ضيقّت على تعليم الجزائريين وهمشتهم، (أجرون، 2008، صفحة 377)

استمر دفاع ابن رحال عن التعليم التقليدي باستغلال الوسائل المتاحة آنذاك، فخلال زيارة الرئيس الفرنسي "لوبي" إلى الجزائر المستعمرة-استغرقت زيارته نصف شهر ما بين 10 إلى 26 أبريل 1903- قام بن رحال بإلقاء خطاب هام أمام الرئيس الفرنسي عبر فيه عن رفض سياسة الإدماج المفرط، والتمثيل السياسي للجزائريين، وبذلك يعد بن رحال الرجل الوحيد من بين جماعة النخبة الذي أوضح صراحة عن حقوق المسلمين الجزائريين. (أجرون، 2008، صفحة 377)

لقيت مطالب ابن رحال صدى كبيرا في أوساط النخبة الجزائرية المتمسكة بموروثها الثقافي العربي الإسلامي، فساروا معه وتبنوا توجهاته الفكرية، ومن بين هؤلاء نذكر عمر بن بريهمات، والحاج الطيب الشرشالي، وحمود بن مخفوجي وغيرهم من الشخصيات المثقفة، التي سعت إلى إصلاح أوضاع التعليم لدى الجزائريين ضمن الإطار العربي الإسلامي دون الذوبان في الثقافة الفرنسية. (مريوش، 2013، صفحة 29)

لعب ابن رحال دوراً سياسياً على الصعيد الوطني خاصة في الجهة الغربية من القطر الجزائري، وكان من بين الذين طالبوا بتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي، وبعد خيبة أمله وفشل تجربته السياسية، لازم الزاوية الدرقاوية في ندرومة التي أصبح مقدمها إلى أن توفي في 1928. (Berque, 1962, p. 73)، وبذلك مثل ابن رحال الحركة الإصلاحية المبكرة بالقطاع الوهراني حيث ساهم بفاعلية في النهضة الجزائرية بمحاضراته، وطالب بالتقدم والتحرر عن طريق نيل الحقوق كالتعليم والانتخاب. (مجلة الشهاب، 1927، الصفحات 2-4)

2.4..مسألة التعليم العربي الإسلامي عند الأمير خالد:

عرفت الجزائر مطلع القرن العشرين يقظة فكرية وسياسية، وكان من بين أول ثمارها فوز تيار الأمير خالد في الانتخابات المحلية في ديسمبر 1919 الذي كان يمثل التيار المحافظ ضد تيار ابن التهامي الذي كان يمثل تيار التجنس والاندماج والتغريب، وتعد نتائج هذه الانتخابات انتصار كبير لدعاة المحافظة على الشخصية الإسلامية الجزائرية ضد دعاة التيار المغربي ذو التوجه الليبرالي المفرنس الذي رضع من لبن فرنسا وتغذى من فتات موائدها. (Agéron, 1970, pp. 97-109)

اهتم الأمير خالد إلى جانب القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمسألة تعليم الجزائريين، والدفع بهم إلى الأخذ بالعلوم وكسب المعارف، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "...أيها الأولاد وأيتها الشبيبة شمروا على ساعد الكد والجد، وتزاحموا على أبواب المكاتب والمدارس والكلليات لتجنوا من ثمرات العلوم ما يرفع به قدومكم بكم مسلحاً حسناً، ويحي ذكركم وأعلموا أنكم خلقتم للعلم والعمل لا الجهل والكسل، ولا تسارعوا لأبواب الحانات ومحلات اللهو لأن ذلك يؤدي لما لا يرضي الله، ومخل للشرف ومذهب للعقل والحياء...". (جريدة الإقدام، 1920، صفحة 1)

راهن الأمير خالد كثيراً على عنصر الشباب والثقافة لخدمة الحركة الوطنية، وبالرغم من أنه كان يدعي بأن حركته هي حركة سياسية، لكن الملاحظ والمدقق في مطالبه يرى بأنه ركز كثيراً على قضية التعليم والدين في مطالبه، (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، صفحة 1992) وقد كانت جريدته الإقدام منبرا لأقلام الشباب المثقف الذي كان يتيح لهم الفرصة للكتابة فيها والدعوة إلى الأخذ بالعلم والتهوض به، وفي هذا المجال نقف عند ما كتبه علي بن قدور الجزائري تحت عنوان "شعور أبناء الجزائر"، حيث أشار إلى أنه: "... يجب على أبناء الجزائر أن ينهضوا نهضة رجل واحد لانقاذ أبنائهم من الجهل والضلال وسوء الاخلاق الذين هم فيه، فالكبار مسؤولون بتربية الصغار خصوصاً ارباب الثروة والمناصب، ومن الضروري تأسيس جمعية خيرية في "العاجل القريب" إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً"، تربية الصغار وتعليمهم العلوم والأدب وحسن الأخلاق لمن الواجبات الدينية، عجيب من أغنياء الجزائر لم ينتهوا...". (جريدة الإقدام، 1921، صفحة 2)

حرص الأمير خالد على الترغيب في طلب العلم، فنجده يعطي مساحة من جريدة الإقدام للطلبة الجزائريين بالمعاهد والجامعات العربية، بل تعدى ذلك على المطالبة بخلق جامعة جزائرية، (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، صفحة 362) فيها هو الطالب الجزائري الأزهرى ابن الشريف المكي الفرندي يوجه دعوة من جامع الأزهر لشبيبة وطنه يحثهم على السعي إلى مواصلة تعليمهم والالتحاق بالمعاهد العالية

العالمية، وقد أشار إلى ذلك متسائلاً: "فكيف لا ننتبه ونستيقظ من سباتنا الطويل ونبعث بشيبتنا إلى المدارس العالية بالعالم المتمدن ليتغذوا بالعلوم والمعارف على اختلاف أنواعها من طب وهندسة وحقوق وتجارة، ويأخذوا عن أمم الغرب كيف نهضوا ببلادهم من حضيبض الجهل...". (الفرندي، 1922، صفحة 01)

شمل البرنامج الإصلاحي للأمير خالد إلى جانب الإصلاح السياسي الإصلاح الديني والدفاع عن المؤسسات الإسلامية، لذلك نجده يعارض ما لحق بالزوايا من بدع وخرفات أبعدتها عن مجراها الديني والتربوي، وقد عبر عن ذلك على صفحات جريدة الإقدام بعنوان: "في الزوايا خبايا"، أين ألقى اللوم على شيوخ الزوايا والقائمين عليها بعدما انحرفوا بالزواوية عن دورها الديني والتربوي، وبذلك فإنه قد طلب بضرورة إسناد أمور الدين لأصحابها حتى تتحقق حسب رأيه الخدمة العامة لكل الجزائريين. (جريدة الإقدام، 1923، صفحة 01)

زار الأمير خالد مدينة تلمسان في يوم الإثنين 17 جويلية 1922 وقد رافقه السيد علي الشريف الطاهر، (جريدة الإقدام، 1923) وكان في استقبالهم النائب محمد بن رحال، أين ألقى محاضرة قيمة بدار البلدية بين فيها برنامجه الذي يهدف إلى تحرير الجزائر من قانون الأهالي، وقد شجب الوضع التعيس للشعب والجهل جراء القوانين الاستثنائية، واقترح تحسينا للوضعية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للجزائريين، (ستورا، 1999، صفحة 36) وألح أيضا على ضرورة إصلاح التعليم الأهلي للمسلمين، الذي يرى بأنه يكاد يكون منعدما، وأضاف قائلاً بأن إلغاء المدارس القرآنية التي كانت تحتوي على 300000 أهلي قبل الاحتلال، وتغييرها بالمدارس الأوروبية أفقد المجتمع شخصيته، وحتى من يلتحق بالمدرسة الفرنسية عددهم يعد على الأصابع، وأضاف قائلاً بأن منح الدخول إلى المدارس أصبحت تعطى لأبناء القياد والموظفين فقط، وقد أشار كذلك في خطابه إلى ضرورة الاتحاد والمقاومة من أجل تحرير الجزائر من القوانين الاستعمارية. (شلي، 1922، صفحة 2)

زار الأمير خالد تلمسان في عام 1923 واستقبله أعضاء مدرسة الشبيبة التي كان يديرها آنذاك الشيخ محمد مرزوق، وقد قامت تلميذة بإلقاء خطاب ترحيبي بالعربية الفصحى، فتأثر بفصاحة لغتها ودمعت عيناه، ولما سئل عن ذلك قال: "إن فرنسا زعمت أن اللغة العربية ماتت وقضي عليها، وأنا من هذا المكان بفضل الله وهذه الوجوه النيرة أتحدى فرنسا وأقول لها أن العربية موجودة وباقية على الأبد"، ويقول محمد قنانش عند خروجه من الكتاب على العاشرة والنصف، بأنه سمع من مدرسة الشبيبة النشيد الوطني الأول الذي عرفته تلمسان بمناسبة زيارة الأمير خالد للمدرسة، والذي يبدأ هكذا: "هيا بنا أهل الوطن نحيا الفرائض والسنن". (قنانش، 2007، صفحة 10)

عقب صعود هيريو إلى رئاسة الوزراء في سنة 1924 أرسل الأمير خالد إليه بترقية من منفاه في صائفة نفس السنة، حيث عبر عن مطالب الجزائريين شملت عشر نقاط أساسية، من بينها المطالبة بإجبارية التعليم للجزائريين، مع الاحتفاظ بحرية الاختيار في نوع التعليم. (Khaled, 1987, p. 53)

5..خاتمة:

إن مسألة إحياء التعليم العربي الإسلامي والمحافظة عليه لم تكن متعلقة بالنخب التقليدية المحافظة فقط، وإنما استغلت بعض النخب موقعها من داخل المجالس الانتخابية لتقديم عرائض ومطالب شرعية تتعلق بالدفاع عن مرتكزات التعليم العربي الإسلامي ومؤسساته، فاعتنمت المجالس واللقاءات السياسية الدورية والاستثنائية لعرض مشاكل الجزائريين المتعلقة بمسألة التعليم الفرنسي وعدم نجاعة أسلوب القوة في فرضه.

يتبين لنا من خلال هذه الدراسة أن مسألة إحياء التعليم العربي الإسلامي خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، والثلث الأول من القرن العشرين لم تكن مجرد ردود فعل عفوية، بل كانت نتاج مجهودات متواصلة ومرتبطة، قادها نواب منتخبون وهم رجال وطنيون حملوا على عاتقهم هم الهوية والثقافة الجزائرية، ويعد كل من محمد بن رحال والأمير خالد من الشخصيات الفاعلة والمؤثرة ليس وسط الجزائريين فحسب، وإنما داخل المجتمع الفرنسي وداخل أروقة المجالس السياسية والانتخابية، فقد استغلا ذلك جيداً في تقديم مطالب مباشرة إلى كبار المسؤولين الفرنسيين نتج عنها إرسال لجان تحقيق وتفتيش إلى الجزائر المستعمرة ساهمت ولو إلى حين في تخفيف القيود التي فرضها المستعمرون الفرنسيون على التعليم العربي الإسلامي ومؤسساته.

لقد ساهمت مطالب وعرائض النواب المنتخبين أمثال محمد بن رحال والأمير خالد وغيرهم من الوطنيين الذين حملوا هموم أبناء وطنهم وتعطشهم إلى هويتهم في بعث التعليم العربي الإسلامي الذي يعد عمادها، وهذه المجهودات التي بدأها ابن رحال في فترة عصيبة تزامنت مع سن أخطر المراسيم والقوانين الاستثنائية التي سعت فرنسا الاستعمارية إلى القضاء على التعليم العربي الإسلامي ومصادر تمويله، هذه المطالب واصل الأمير خالد في تبنيها وأصبحت من القضايا الأساسية في حملاته الانتخابية وتجسدت على أرض الواقع بعد نجاحات حزبه في الانتخابات المحلية 1919م، وقد مثل صعوده السياسي قلقاً كبيراً للسلطات الاستعمارية، التي رأت في خطابه خطراً متزايداً على استقرار النظام الاستعماري فتعرض لمضايقات عديدة انتهت بنفيه إلى الإسكندرية سنة 1923،

إن نفي الأمير خالد خارج الوطن لم تكن نهاية معركة إحياء التعليم العربي الإسلامي في الجزائر، بالعكس فإن ما بدأه ابن رحال في هذا الميدان وحارب من أجله الأمير خالد كلها مجهودات مهدت الطريق لاحقاً لظهور ووضع لجنة لتأسيس جمعية جزائرية دينية وتربوية جعلت من اللغة العربية والإسلام والجزائر كوطن شعاراً لها هي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 05 ماي 1931م.

6...البليوغرافية

إبراهيم مهديد. (2006). الفكر السياسي النهضوي في الغرب الجزائري مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20. وهران: منشورات دار الأديب.

ابن الشريف المكي الفرندي. (21 أبريل، 1922). بريد الشرق من مصر إلى الإقدام. جريدة الإقدام/ (75).

أبو القاسم سعد الله. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 7). الجزائر: دار البصائر.

أبو القاسم سعدالله. (بلا تاريخ). الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 (المجلد 2). بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي.

أبو اليقضان. (نوفمبر، 1928). ما هو حظنا من العلم؟ جريدة وادي ميزاب (8).

أبو حامد المشرفي. (د.ت). طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار. الخزنة الحسنية - الرباط.

أحمد الخطيب. (1985). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

أحمد مريوش. (2013). محاضرات في تاريخ الجزائر ما بين 1900-1954م (المجلد 2). الجزائر: كنوز الحكمة.

التدريس بمساجدنا وشأن المدرسين. (1929). جريدة البلاغ (146).

الحافظ الأزهرى. (24 أكتوبر، 1930). اعتبروا يا أولي الأبصار واسمعوا أقوال الأجانب فيكم. جريدة البلاغ (186).

العقون، ع. أ. (1984). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر. (Vol. 1) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

المدني، أ. ت. (1956). هذه هي الجزائر. مصر: مكتبة النهضة المصرية.

أنور الجندي. (1901). الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا. مصر: الدار القومية للطباعة والنشر.

إيفون تيران. (2007). المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880. الجزائر: دار القصة للنشر.

بنيامين ستورا. (1999). مصالي الحاج 1898-1974 رائد الوطنية الجزائرية. الجزائر: دار القصة للنشر.

تركي، ر. (1975). التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

جريدة الإقدام. (17 أكتوبر، 1920). جريدة الإقدام (2).

جريدة الإقدام. (أوت 26). جريدة الإقدام (41).

جريدة الإقدام. (16 مارس، 1923). جريدة الإقدام (122).

جريدة الإقدام. (16 مارس، 1923). جريدة الإقدام (122).

جمال قنان. (نوفمبر، 2000). أوضاع الجزائر عشية الغزو الفرنسي 1800-1830. مجلة الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة التحريرية (6).

شارل روبير أجرون. (2008). تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954م. الجزائر: دار الأمة.

شريف بن حبيلس. (2009). الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي. قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.

صبرينة الواعر. (2003-2002). محمد بن رحال ودوره السياسي والثقافي 1856-1928. جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة: مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

عبد الرحمان الجبالي. (1980). تاريخ الجزائر العام (الإصدار 4، المجلد 4). بيروت-لبنان: دار الثقافة.

عبد القادر جغلول. (1982). تاريخ الجزائر الحديث-دراسة سوسيولوجية- (الإصدار 2). بيروت-لبنان: دار الحداثة.

- عبد القادر حلوش. (1975). *السياسة التعليمية في الجزائر 1871-1914*. دمشق: كلية الآداب.
- عبد القادر حلوش. (2010). *سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر*. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر.
- عبد القادر شلبي. (21 جويلية، 1922). *الخطب في تلمسان*. جريدة الإقدام (88).
- فرحات عباس. (2007). *الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم - الشباب الجزائري-1930*. الجزائر: وزارة الثقافة.
- مامي إسماعيل. (30 جانفي، 1929). *الجمعية الدينية*. جريدة النجاح (696).
- محمد قنانش. (2007). *نكرياتي مع مشاهير الكفاح*. الجزائر: دار القصة للنشر.
- محمد ناصر. (1978). *المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها. تطورها. أعلامها من 1903 إلى 1931*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- (29 ديسمبر، 1927). *مجلة الشهاب* (128).
- يحيى بوعزيز. (2002). *المساجد العتيقة في الغرب الجزائري*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- (s.d.). *La Revue Indigène* (63-64).
- Agéron, C. R. (1970, Janvier). Le premier vote de l'Algérie Musulmane- les élections du Collège musulmans Algérien en 1919-1920. *Revue d'Histoire* (8).
- Ageron, C.-R. (1963, Avril -Juin). Jules Ferry et la question algérienne en 1892. *Revue d'Histoire Moderne & Contemporaine* (10).
- Berque, J. (1962). *le Maghreb entre deux guerres*. Paris: Ed du SEUIL.
- Djaghloul, A. (1977). M'hamed Ben Rahal et la question de l'instruction des Algériens 1886-1925. *Majallat-Et-Tarikh, Revue du Centre National d'études Historiques* (7).
- Emerit, M. (1954, Juillet-Septembre). L'Etat intellectuel et moral en Algérie en 1830. *R.H.M.C*, p. 204.
- Esquer, G. (1950). *Histoire de l'Algérie 1830-1950*. France: Presses universitaires de France.
- Khaled, L. (1987). *La Situation Des Musulmans d'Algérie 1924*. Alger: Office des publications universitaires.
- Mourlan, P. (1907, Mars). Législation et réglementation de l'Enseignement primaire public des indigènes en Algérie. *Revue internationale de l'enseignement* (53).
- Pérès, H. (1935). L'Algerie vue par deux voyageurs musulmans en 1877-1877. *R.A* (76).
- Rinn, L. (1882). *Note sur l'instruction publique Musulmane en Algérie*. Alger: impr. de P. Fontana.
- Tocqueville, A. d. (1864). *Oeuvres complètes* (Vol. 3). Paris: A LA LIBRAIRIE NOUVELLE.